وتقديم الظرف وهو (إذ سمعتموه) على عامله وهو (قلتم) للاهتمام بمدلول ذلك الظرف تنبيها على أنهم كان من واجبهم أن يطرق ظن الخير قلوبهم بمجرد سماع الخير وأن يتبرؤا من الخوض فيه بفور سماعه .

الظاهرة فمقتضى التفاوت المؤمنين إلى الظن فعل إسناد في الخطاب ضمير عن والعدول A E أن يقال : ظننتم بأنفسكم خيرا فعدل عن الخطاب للاهتمام بالتوبيخ فإن الالتفات ضرب من الاهتمام بالخبر وليصرح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك في الإيمان يقتضي أن لا يصدق مؤمن على أخيه وأخته في الدين ولا مؤمنة على أخيها وأختها في الدين قول عائب ولا طاعن . وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة في مؤمن أن يبني الأمر فيها على الظن لا على الشك ثم ينظر في قرائن الأحوال وصلاحية المقام فإذا نسب سوء إلى عرف بالخير ظن أن ذلك إفك وبهتان حتى يتضح البرهان . وفيه تعريض بأن ظن السوء الذي وقع هو من خصال النفاق التي سرت لبعض المؤمنين عن غرور وقلة بصارة فكفى بذلك تشنيعا له .

وهذا توبيخ على عدم إعمالهم النظر في تكذيب قول ينادي حاله ببهتانه وعلى سكوتهم عليه وعدم إنكاره .

وعطف (وقالوا هذا إفك مبين) تشريع لوجوب المبادرة بإنكار ما يسمعه المسلم من الطعن في المسلم بالقول كما ينكره بالظن وكذلك تغيير المنكر بالقلب واللسان .

والباء في (بأنفسهم) لتعدية فعل الظن إلى المفعول الثاني لأنه متعد هنا إلى واحد إذ هو في معنى الاتهام .

والمبين : البالغ الغاية في البيان أي الوضوح كأنه لقوة بيانه قد صار يبين غيره .

(لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند ا هم الكاذبون [14]) استئناف ثان لتوبيخ العصبة الذين جاءوا بالإفك وذم لهم . و (لولا) هذه مثل (لولا) السابقة بمعنى (هلا) .

والمعنى : أن الذي يخبر خبرا عن غير مشاهدة يجب أن يستند في خبره إلى إخبار مشاهد ويجب كون المشاهدين المخبرين عددا يفيد خبرهم الصدق في مثل الخبر الذي أخبروا به فالذين جاءوا بالإفك اختلقوه من سوء ظنونهم فلم يستندوا إلى مشاهدة ما أخبروا به ولا إلى شهادة من شاهدوه ممن يقبل مثلهم فكان خبرهم إفكا . وهذا مستند إلى الحكم المتقرر من قبل في أول السورة بقوله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) فقد علمت أن أول سورة النور نزل أواخر سنة اثنتين أو أوائل سنة

ثلاث قبل استشهاد مرثد بن أبي مرثد .

وصيغة الحصر في قوله (فأولئك عند الله هم الكاذبون) للمبالغة كأن كذبهم لقوته وشناعته لا يعد غيرهم من الكاذبين كاذبا فكأنهم انحصرت فيهم ماهية الموصوفين بالكذب .

واسم الإشارة لزيادة تمييزهم بهذه الصفة ليحذر الناس أمثالهم .

والتقييد بقوله (عند الله) لزيادة تحقيق كذبهم أي هو كذب في علم الله فإن علم الله لا يكون إلا موافقا لنفس الأمر . وليس المراد ما ذكره كثير من المفسرين أن معنى (عند الله) في شرعه لأن ذلك يصيره قيدا للاحتراز فيصير المعنى : هم الكاذبون في إجراء أحكام الشريعة . وهذا ينافي غرض الكلام ويجافي ما اقترن به من تأكيد وصفهم بالكذب ؛ على أن كون ذلك هو شرع الله معلوم من قوله (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) إلى قوله (فأولئك عند الله هم الكاذبون) . فمسألة الأخذ بالظاهر في إجراء الأحكام الشرعية مسألة أخرى لا تؤخذ من هذه الآية .

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم [14])